

أضواء البيان

@ 479 @ وقوله : { أَيْحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ . ! 7 7 ! قوله تعالى : { مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ الْآيَةَ } .

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يُخَبِّرَ الْكَفَّارَ أَنَّ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ عَلَيْهِمُ الَّذِي يُطْلَبُونَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عِنْدَهُ . وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَجَلَهُ وَإِنْ شَاءَ آخَرَهُ عَنْهُمْ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُخَبِّرَهُمْ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ لَعَجَلَهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : { قُلْ لَوْ أَنِّي لَكُمْ مَالٌ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَعَجِّلِينَ } . .

وَبَيْنَ فِي مَوَاضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ مَا حَمَلَهُمْ عَلَى اسْتَعْجَالِ الْعَذَابِ إِلَّا الْكُفْرَ وَالتَّكْذِيبَ وَأَنَّهُمْ إِنْ عَايَنُوا ذَلِكَ الْعَذَابَ عِلْمُوا أَنَّهُ عَظِيمٌ هَائِلٌ لَا يَسْتَعْجَلُ بِهِ إِلَّا جَاهِلٌ مِثْلَهُمْ كَقَوْلِهِ : { وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ } وَقَوْلِهِ : { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا } الْآيَةَ قَوْلَهُ : { يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } وَقَوْلِهِ : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ } . .
وَبَيْنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ حَدَدَ لَهُمْ أَجَلًا لَا يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قَبْلَهُ لَعَجَلَهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ الْآيَةَ } . .
تَنْبِيهِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : { قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَى الْأَمْرَ } صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ بِيَدِهِ تَعْجِيلُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ لَعَجَلَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَشْشِينَ وَهُمَا جِبَلَا مَكَّةَ اللَّذَانِ يَكْتَنِفَانِهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . .
وَالظَّاهِرُ فِي الْجَوَابِ : هُوَ مَا أَجَابَ بِهِ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ